



خرذى القرنين

قال الله تعالى : **ويسألونك عن ذي القرنين قل سأله عليكم منه ذكرنا إنما مكتنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبياً حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدتها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تخذل فيهم حسناً قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكرا وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسن والستقوى له من أمرنا يسراً ثم أتبع سبياً حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدتها تطلع على قوم لم يجعل لهم من دونها ستراً كذلك وقد أخطأنا بما لديه خبراً ثم أتبع سبياً حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفهمون قوله قالوا ياذا القرنين إن بأجوج وأموج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيتنا وبينهم سداً قال ما مكني فيه ربى خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً آتونى زير الحديد حتى إذا ساوي بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراناً فما استطاعوا أن يظهوه وما استطاعوا له نقباً قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاً وكان وعد ربى حقاً [الكهف : 83 - 98].**

ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا ، وأثنى عليه بالعدل ، وأنه بلغ المغارب والمغارب ، وملك الأقاليم وقرر أهلها ، وسار فيهم بالمعدلة التامة ، والسلطان المؤيد المنصور الفاجر المقسط . وال الصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين ، وقيل : كان نبياً . وقيل : كان رسولاً . وأغرب من قال : ملكاً من الملائكة . وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فإنه سمع رجلاً يقول لآخر : يا ذا القرنين ، فقال : مه ، ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميت بأسماء الملائكة . ذكره السهيلي .

وقد روى **وكيع** ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : **كان ذو القرنين نبياً** . وروى **الحافظ ابن عساكر** ، من حديث أبي محمد بن أبي نصر ، عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي ثابت ، حدثنا محمد بن حماد ، أباً عبد الرزاق ، عن معاذ ، عن ابن أبي ذئب ، عن المقربي ، عن **أبي هريرة** قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أدرى أتيت كان لعيناً أم لا ، ولا أدرى **الحدود كفارات لأهلها أم لا** ، ولا أدرى ذو القرنين كان نبياً أم لا وهذا غريب من هذا الوجه .

وقال **إسحاق بن بشر** ، عن عثمان بن الساج ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان ذو القرنين ملكاً صالحاً ، رضي الله عنه ، وأثنى عليه في كتابه ، وكان منصوراً ، وكان الخضر وزيراً . وذكر أن الخضر ، عليه السلام ، كان على مقدمة جيشه وكان عنده بمنزلة المشاور ، الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في إصلاح الناس اليوم . وقد ذكر الأزرقي وغيره ، أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل ، وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل ، عليه السلام . وروي عن **عبد بن عمير** ، وابنه عبد الله وغيرهما ، أن ذا القرنين حج ماشياً ، وأن إبراهيم لما سمع بقدومه تلقاه ودعاه ورضاه ، وأن الله سخر لذى القرنين السحاب بحمله حيث أراد . والله أعلم .



واختلفوا في السبب الذي سمي به ذا القرنين ; فقيل : لأنه كان له في رأسه شبه القرنين . وقال **وهب بن منبه** : كان له قرنان من نحاس في رأسه . وهذا ضعيف . وقال بعض أهل الكتاب : لأنه ملك فارس والروم . وقيل : لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً ، وملك ما بينهما من الأرض . وهذا أشبه من غيره ، وهو قول الزهري .

وقال **الحسن البصري** : كانت له غديرتان من شعر يطاً فيهما ; فسمي ذا القرنين . وقال **إسحاق بن بشر** عن عبد الله بن زياد بن سمعان ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أنه قال : دعا ملكاً جباراً إلى الله فضربه على قرنه فكسره ورضه ، ثم دعاه فدق قرنه الثاني ، فكسره ، فسمي ذا القرنين . وروى الثوري عن حبيب بن أبي ثابت ، عن **أبي الطفلي** ، عن علي بن أبي طالب ، أنه سئل عن ذي القرنين فقال : كان عبداً ناصحاً لله فناصحه ، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات ، فأحياه الله فدعاه قومه إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات ، فسمي ذا القرنين . وهكذا رواه شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن **أبي الطفلي** ، عن علي به . وفي بعض الروايات ، عن **أبي الطفلي** عن علي ، قال : لم يكن نبياً ولا رسولاً ولا ملكاً ، ولكن كان عبداً صالحاً .



وقد اختلف في اسمه ; فروى **الزبير بن بكار** ، عن ابن عباس : كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد . وقيل : مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سباً بن قحطان .

وقد جاء في حديث أنه كان من حمير ، وأمه رومية ، وأنه كان يقال له : **ابن الفيلسوف** ; لعقله . وقد أنشد بعض الحميريين في ذلك شعراً يفخر بذلك ونه أحد أجداده فقال :

قد كان ذو القرنين جدي مسلماً

ملكاً تدين له الملوك وتحشد

بلغ المشارق والمغارب يبتغي

أسباب أمر من حكيم مرشد

رأي مغيب الشمس عند غروبها

في عين ذي خلب وثأط حرمد

من بعده بلقيس كانت عمتي

ملكتهم حتى أتاهما الهدى

قال السهيلي : وقيل : كان اسمه مرزى بن مرذبة ، ذكره ابن هشام ، وذكر في موضع آخر أن اسمه الصعب بن ذي مراث . وهو أول التابعة ، وهو الذي حكم لإبراهيم في بشر السبع . وقيل : إنه أفریدون بن أسفيان ، الذي قتل الضحاك . وفي خطبة قس : يا عشر إباد ، أين الصعب ذو القرنين ، ملك الخافقين ، وأذل الثقلين ، وعمر ألفين ، ثم كان كلحظة عين ، ثم أنشد ابن هشام **للأشعى**

والصعب ذو القرنين أصبح ثانياً بالحنون في جدث أميم مقيم

وذكر الدارقطني وابن ماكولا أن اسمه هرمس . ويقال : هرديس بن فيطون بن رومي بن لنطي بن كسلوجين بن يونان بن يافث بن نوح . فالله أعلم . وقال إسحاق بن بشر ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة قال : إسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة ، وكان من ولد سام بن نوح ، عليه السلام . فاما ذو القرنين الثاني فهو إسكندر بن فيليبيس بن مضريم بن هرمس بن ميسطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن نونة بن سرحون بن رومة بن ثرنط بن توفيل بن الأصفر بن اليز بن العيس بن إسحاق بن إبراهيم الخليل . كذا نسبه **الحافظ ابن عساكر** في " تاريخه " المقدوني اليوناني المصري ، باني إسكندرية ، الذي يؤرخ أيامه الروم ، وكان متآخراً عن الأول بدهر طويل ، كان هنا قبل المسيح ب نحو من ثلاثة عشر سنة ، وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره ، وهو الذي قتل دارا بن دارا ، وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم . وإنما نسبناه عليه ; لأن كثيراً من الناس يعتقد أنها واحدة ، وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره ، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير ، فإن الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكاً عادلاً ، وكان وزيره الخضر ، وقد كان نبياً على ما قررناه قبل هذا . وأما الثاني ، فكان مشركاً ، وكان وزيره فيلسوفاً ، وقد كان بين زمانه مما أزيد من ألفي سنة . فain هذا من هذا ، لا يستويان ولا يشبهان ، إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور



قوله تعالى : **ويسألونك عن ذي القرنين** [الكهف : 83] . كان سببه أن قريشاً سألوا اليهود عن شيء يمتحنون به علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا لهم : سلوه عن رجل طواف في الأرض ، وعن فتية خرجوا لا يدرى ما فعلوا . فأنزل الله تعالى **قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين** . ولهذا قال : **قل سأألكم منه ذكراً أي من خبره و شأنه** [ص: 543] ذكراً أي خبراً نافعاً كافياً في تعريف أمره وشرح حاله . فقال : **إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبيلاً أي** : وسعنا مملكته في البلاد وأعطيته من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة والمقاصد الجسيمة .

قال قتيبة ، عن أبي عوانة ، عن سماك ، عن حبيب بن حماز ، قال : كنت عند علي بن أبي طالب ، وسألته رجل عن ذي القرنين ، كيف بلغ المشرق والمغرب ؟ فقال : سخر له السحاب ، ومدت له الأسباب ، ووسط له في النور . وقال : أزيدك ؟ فسلكت الرجل ، وسكت علي ، رضي الله عنه .

وعن أبي إسحاق السبيبي ، عن عمرو بن عبد الله الوادعي ، سمعت معاوية يقول : ملك الأرض أربعة : سليمان بن داود النبي ، عليهما السلام ، **وذو القرنين** ، ورجل من أهل حلوان ورجل آخر . فقيل له : الخضر ؟ قال : لا .

وقال الزبير بن بكار حدثني إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن الضحاك ، عن أبيه ، عن **سفيان الثوري** ، قال : بلغني أنه ملك الأرض كلها أربعة : مؤمنان وكافران ; سليمان النبي ، **وذو القرنين** ، ونمrod ، وبخت نصر . وهكذا قال سعيد بن بشير ، سواء .

وقال إسحاق بن بشر ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : كان ذو القرنين ، ملك بعد النمرود وكان من قصته أنه كان رجلاً مسلماً صالحًا أتى المشرق والمغرب ، مد الله له في الأجل ونصره ، حتى قهر البلاد واحتوى على الأموال ، وفتح المداشن وقتل الرجال وجال في البلاد والقلاع ، فسار حتى أتى المشرق والمغرب ، فذلك قوله : **ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتألو عليكم منه ذكرًا** : خبراً إننا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً أي : علماً بطلب أسباب المنازل .

قال إسحاق : وزعم مقاتل أنه كان يفتح المداشن ويجمع الكنوز ، فمن اتبعه على دينه وتبعه عليه ، وإن قتله . وقال ابن عباس ، ومجاحد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وعبيد بن يعلى ، والسدسي ، وقتادة ، والضحاك وآتيناه من كل شيء سبباً يعني علماً . وقال قتادة ، ومطر الوراق : معالم الأرض ومنازلها وأعلامها وآثارها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني تعليم الألسنة ، كان لا يغزو قوماً إلا حدثهم بلغتهم .

والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به إلى نيل مقصوده في المملكة وغيرها؛ فإنه كان يأخذ من كل إقليم من الأمة والمطاعم والزاد ما يكتبه ويعينه على أهل الأقلام الآخر .

وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفاً وستمائة سنة يجوب الأرض ، ويدعو أهلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وفي كل هذه المدة نظر والله أعلم . وقد روى البيهقي ، وابن عساكر حديثاً متعلقاً بقوله : **وآتيناه من كل شيء سبباً** مطولاً جداً ، وهو منكر جداً . وفي إسناده محمد بن يونس الكديمي وهو متهم ، فلهذا لم نكتبه لسقوطه عندنا . والله أعلم .

وقوله : **فأتبع سبباً أي : طریقاً حتى إذا بلغ مغرب الشمس** يعني من الأرض ، انتهى إلى حيث لا يمكن أحداً أن يجاوزه ، ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له : أوقیانوس الذي فيه الجزر المسماة بالحالات ، التي هي مبدأ الأطوال ، على أحد قوليه أرباب الهيئة ، والثاني من ساحل هذا البحر كمنا . وعنه شاهد مغيب الشمس - فيما رأه بالنسبة إلى مشاهدته - **تغرب في عين حمئة** والمراد بها البحر في نظره ، فإن من كان في البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه ، ولهذا قال وجدها ، أي : في نظره ، ولم يقل : فإذا هي تغرب في عين حمئة . أي : ذات حمئة . قال كعب الأحبار وهو الطين الأسود . وقرأه بعضهم (حامية) . فقيل : يرجع إلى الأول . وقيل : من الحرارة . وذلك من شدة المقابلة لوجه ضوء الشمس وشعاعها .

وقد روى الإمام أحمد عن **يزيد بن هارون** ، عن العوام بن حوشب ، حدثني مولى عبد الله بن عمرو ، عن عبد الله قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت فقال : في نار الله الحامية ، لولا ما يزعمها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض فيه غرابة ، وفيه رجل منهم لم يسم ، ورفعه فيه نظر ، وقد يكون موقعاً من كلام عبد الله بن عمرو ، فإنه أصحاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين ، فكان يحدث منها ، والله أعلم .

ومن زعم من القصاص ، أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس ، وصار يمشي بجيوشه في ظلمات مديدة طولية ، فقد أخطأ ، وأبعد النجعة ، وقال ما يخالف العقل والنقل .

كاتب المقالة : البداية والنهاية لابن كثير
تاريخ النشر : 15/01/2011
من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفدر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com